سرد

## حسابات تقوم بها الجدّة فيليتشيتا

# قصص اقتصادية قصيرة


«تفصيل من مشهد إيطالي ملوّن» لـ ماريو شيفانو، طلاء على ورق وقماش، 1963

**خوان مانويل سافيدرا كالياري**

### عندما تحترق الأسعار

«البورصة تحرق 96 ملياراً». هذا ما ورد بالبنط العريض في إحدى الصحف. وبمجرّد أن وقعَتْ عينا الجدة فيليتشيتا على العنوان، سألتني عما إن كانوا قد فقدوا عقلهم. في السابق، كانوا يُلقون بالبرتقال تحت الجرافات، والآن وصل بهم الأمر لحرق المال مباشرةً. نظرةُ الجدة السّاخطة كانت توحي بأنها تتخيل موظفي البورصة والسماسرة وقد عقدوا ربطات عنقهم على رؤوسهم وتحلقوا للرقص كالهنود الحمر حول بوفالو كبير.
«ليس الأمر بهذه البساطة، وربما ولا حتى أنا قد فهمت الموضوع». أجبتُ بدِعة: «لكن تخيلي أنكِ صنعتِ كعكة وقرّرتِ أخذها للدير من أجل التبرّع بريعها، كاهن الرعية يسأل الجميع عن المبلغ الذي يمكنهم دفعه مقابل قطعة منها؛ وبما أن كعكتك تبدو لذيذة، يُظهر كل الحضور رغبة في شراء قطعة منها. حتى إنهم يعرضون دفع 5 يورو مقابل قطعة واحدة. وهكذا يقصّ كاهن الرعية الكعكة لشرائح أرفع فأرفع، حتى يصل إلى 20 قطعة. 20 × 5 تساوي 100 يورو. هذا يعني أنك أعطيتِ نظرياً لكاهن الرعية مائة يورو، حتى لو لم تقومي بمنحِها له يداً بيد. ولكن قبل ذلك، من الضروري أن يتقدّم أحدهم ويشتري القطع بالفعل».
«تماماً!»، أجابت الجدة وهي تتخيل فعلاً أجواء البيع الخيري هذا، ذلك أن 100 يورو ليست مبلغاً نتبرّع به كل يوم!
«لكن في لحظة معينة يحدث شيء ما». تابعتُ شرحي بهدوء: «شيء كوصول حلوى أُخرى، قالب شوكولاطة، أو أنه قد تبيّن فجأة أن الحضور كلهم شبعى - لا يهمّ السبب - بعد بيع 5 قطع لا أحد يعرض أكثر من يورو واحد. هذا يعني 5 × 5 مقابل الشرائح الأولى و15 × 1 مقابل الشرائح الأخيرة = 40، وهكذا تكونين قد أحرقتِ 60 يورو!».
لم أكن متأكداً من أنني شرحت الأمر بشكل جيد، وإن كانت جدتي قد فهمت منطق البورصة. لكنها بعد قليل، ردت بابتسامة ماكرة: «أعرف أن الكعكة كانت لذيذة، فما يهم فيها هو الأرض التي أخرجت الطحين والتفاح والشغف الذي أعددتها به؛ الكعكة هي ذاتها الكعكة، لم تكن أكبر عندما كان ثمنها 100 يورو، ولا أصغر من ذلك وهي تساوي 40 يورو. أما تلك الـ 60 يورو فليست سوى وَهْم، كلما احترق أسرع، كان ذلك أفضل. أما كاهن الرعية فما عليه سوى أن يجد طرقاً أُخرى لرعاية أغنامه».

■ ■ ■

### مجتمع الجحود

«ثمة بالتأكيد خلل ما». قالت الجدة فيليتشيتا، «أيعقل أنكم تملكون أكثر بكثير في هذا الزمن مما كنا نملك في الماضي، ولكنكم تبدون أكثر قلقاً وحزناً؟».
«جدتي يا جدتي، أنتم كبار السن تقولون دائماً ذلك». قلت وأنا أتأمّل في الفكرة: «لا تكفّون عن ترديد ذات الكليشيهات».
«فكر فقط بما كان ليحدث لو كنتم راضين ومُحصين للنعم التي تحيط بكم؟».
«اممم، دعيني أفكر. ستتوقف الحروب؟»، قلت وأنا أحاول استفزازها. «قل لي فقط من كان ليأخذ رهناً عقارياً إن كان يشعر بالسعادة من منزله؟ من كان ليشتري جهاز كمبيوتر جديداً، تلفازاً جديداً، أو يطلب قرضاً لشراء سيارة جديدة لو كان يشعر بالرضا التام عمّا يملكه؟ من أجل أن نبقى على قيد الحياة في هذه البقعة من العالم، علينا إيقاف إهدار الموارد والقضاء على التلوث، وهو ما لا يمكن فعله بوجود هذين العنصرين: النّهم والخوف». «لماذا تقولين ذلك؟» قلت بعصبية. فإيجاد طريقة لوقف التلوث، والحد من إهدار الموارد وتقاسم الثروة ليس هو ما سيجعلنا جميعاً أكثر سعادة. «بدون تلوث وبدون صراعات على الموارد، يمكنكم العيش بشكل أفضل، لكن فعلاً هذا لا يعني أنكم ستصبحون أقل حزناً. ذلك لأنكم ستشعرون دوماً بوجود فراغ ما في معدتكم، يجعلكم تشعرون بالافتقار دوماً إلى شيء ما، شيء يمكن أن تسده عملية شراء صغيرة كانت أو كبيرة. بدون نهم أو خوف، لن يشتري الناس شيئاً. وإذا لم يشتروا شيئاً ستفلس الشركات، وإذا أفلست ستكونون عاطلين من العمل؛ لهذا أنتم في حاجة ماسة لأن تكونوا جاحدين». «عالجوا أنفسكم!» أنهت جدّتي فيليتشيتا كلامها وتركتني عاجزاً عن الكلام. «من كان هو نفسه سبب علّته لا ينبغي أن يبكي حاله». «وهو كذلك»، فكرت دون أن أملك شجاعة الرد.

■ ■ ■

### لغز البيضة والبطاطس

كانت الجدة فيليتشيتا تبدو منذ فترة وكأنها تعيش دور الخبير الاقتصادي:
«في بعض البلدان، إذا كانت لديك بيضة واحدة، فأنت غني». قالت بنبرة ماكرة: «في البعض الآخر ليس كثيراً:
في 2007 كان هذا هو الحال في الولايات المتحدة: 12 بيضة بـ 1,77 دولار، و1 كيلوغرام من البطاطس بـ 1,14 دولار! أي بيضة واحدة = 129 غرام بطاطس. أما في اليابان، فـ 12 بيضة بـ 2,60 ين، و1 كيلوغرام من البطاطس بـ 278 ين، أي بيضة واحدة = 77 غراماً من البطاطس، تقريباً نصف المعادلة الأميركية. وهذا يعني أنني في الولايات المتحدة كنت سأكون غنيةً وفي اليابان فقيرة.
لكن بعد سنة واحدة فقط، في عام 2008، تحولت البطاطس في الولايات المتحدة إلى مصدر للطاقة، ارتفعت الأسعار على إثر ذلك، وأصبحت عليه أنا ودجاجتي أفقر.
انظر إلى هذا: الولايات المتحدة الأميركية: 12 بيضة بـ 1,86 دولار أي 1 كغم من البطاطس بـ 1,61. أي بيضة واحدة = 96 غرام من البطاطس. أما في اليابان، فـ 12 بيضة بـ 296 ين، 1 كيلو بطاطس بـ 280 ين. وبيضة واحدة = 88 غرام بطاطس. وهكذا فأنا اليوم أقل فقراً في اليابان، وأفقر بكثير في الولايات المتحدة. إنه فعلاً لغز».
بعد أن طلبتُ جدولاً بيانياً مكتوباً لكل هذا الكلام لأنني لم أفهم شيئاً من هذه الحسابات الذهنية التي قامت بها الجدة فيليتشيتا، أجبتُها: «يمكنك إذن محاولة بيع البيض في الولايات المتحدة، وشراء البطاطس وبيعها في اليابان، ثم تعيدين بعدها شراء بيضك وتحتفظين بهامش جيد».
كنت آمل أن أضلّلها باحتساب تكاليف النقل لتفاجئني هي: «لا تفكر في إخباري بأن الولايات المتحدة واليابان بعيدان بعض الشيء، ففي البورصات كل شيء مسجل في جداول على الكومبيوترات، لا أحد يقوم بنقل البضائع فعلياً. لكن أخبرني: إذا ما بدأت بغرس البطاطس دون بيعها أو شرائها، هل سأكون بذلك أغنى أم أفقر؟».

(ترجمة عن الإيطالية:
أمل بوشارب)

## بطاقة



Juan Manuel Saavedra Cagliari
كاتب واقتصادي إيطالي من مواليد 1966. يعيش بين الثقافتين الأميركية الجنوبية والغربية، ويسعى إلى تحقيق توازن بين الجانب الروحي والجانب التقني من عمله. سمحت له شهادته في العلوم الزراعية التي تتراوح موضوعاتها بين علم الأحياء والاقتصاد، إلى الميكانيكا وعلم الاجتماع، بتقوية هذا النهج. يستخدم أكثر الأدوات تبايناً من الموسيقى إلى المسرح، ومن كتابة القصص إلى التفكير التصميمي.

إطلالة

## استعارةٌ لا تتحدّث لغة الواقع

# المرأة رمزاً روائياً

الملاحَظ أنّ مَن جعلوا من المرأة رمزاً هم الروائيّون لا الروائيات؛ فالمرأة لا ترى نفسها رمزاً، بل كائناً طبيعياً يطالِب بحقوقه على الأرض

**ممدوح عزام**


«المثلّث» لـ هيف كهرمان (العراق)، زيت على كتّان، 2012

في روايته «عودة الروح»، يجعل توفيق الحكيم من سَنِية رمزاً لمصر، يتدافع الرجال في الرواية لكسب رضاها وحبّها. وفي «زقاق المدق» لنجيب محفوظ، تبدو حميدة أيضاً رمزاً لمصر. اللافت أنّ كلا الروائيَّين كان يتابع تقليداً بدأ في الرواية منذ النشأة، يجعل المرأة رمزاً لمصر، بل إنَّ روائياً اسمُه عبد الحليم العسكري يكتب رواية في بداية القرن العشرين عنوانها «سعاد» يشير بصراحة إلى هذا الرمز، ويستخدمه لأغراض سياسية، حيث تختار سعادُ/ مصر الفيلسوفَ لطفي السيّد بدلاً من الشاب المتهوّر مصطفى كامل.
ويطابق رجاء النقّاش في كتابه «أدباء معاصرون» بين حميدة بطلة «زقاق المدق» وبين مصر مطابقة حرفية. وبسبب تلك المطابقة تتحوّل كلُّ الشخصيات الأُخرى إلى رموز، بحيث يغيب عن الرواية، في التحليل النقدي، شكل الحياة. وتنتفي عن الشخصيات الخصائص الإنسانية العادية، فتفقد وجودها البشري وتتحوَّل إلى ملحقات وتوابع للشخصية الرئيسية: فهذا ابن البلد الفقير، وهذا ممثّلٌ أو رمز القوّة السياسية المصرية في زمن أحداث الرواية، ويحدث مثل هذا في تحليله لرواية «قنديل أم هاشم» ليحيى حقي.
بل إنّ الناقد يقسر النص كي يتطابق مع تفسيره الرمزي لكون فاطمة النبوية بطلة الرواية رمزاً لمصر، بأن يعتبر أنَّ من المنطقي ألّا تُشفي الوسائل الحديثة في الطب أمراضنا، وهي هنا مرض خطير في عينَي فاطمة، لأنّنا لا نؤمن بها، بينما تستطيع الوسائل الشعبية أن تُشفي مرض العينَين بفضل إيماننا بها. وسواء كان الروائي يقصد ذلك، أم كان الناقد يرغم النص على هذا التفسير، فإن الموقف غير مقنِع، وغير صحيح من الناحية العلمية.
لا يشكّل الرمز في هذه الروايات أيَّ جزء من الحقيقة، أي أنَّ العلاقة بين الرمز وهو المرأة والمرموز لا تتضمّن أي عنصر يمكن الاستناد إليه في تبيُّن أوجه الدلالة، باستثناء إمكانية الاستفادة من كونها قادرة على الإنجاب، ومع ذلك فقد استُقبل هذا الاختيار بترحاب من قبل النقد، دون البحث عن أسباب هذا الاختيار.
تتحوّل المرأة إلى أيقونة، وتُستخدم كدلالة خارجية، أو كغرض يمكن إعداده للمناسبة، ولا يبدو أنَّ استعارة الرمز تشير إلى موقف مختلف من المرأة، أي أنه لا ينطلق من الإيمان بقيمتها ودورها ومكانتها في المجتمع، كما أنه لا يريد أن يحرّرها، أو يتحرّر بوجودها، فلم تكن حرية المرأة في كل واحدة من هذه الروايات شاغلاً فكرياً للروائيّين.

**لم تكن حرية المرأة في كلّ هذه الروايات شاغلاً فكرياً للروائيّين**

يمكن أن نردّد القول نفسه في ما يخص النقّاد أيضاً، عند تحليلهم لرمز المرأة الوطن، دون أن ننفي عن أي منهم انشغاله بهذه المسألة. الأكثر أهميةً أن كلّاً من الروائيّين والنقّاد لا يشيرون إلى أنّ المرأة التي يمكن أن ترمز إلى الوطن، لا تستطيع تمثيله، والأصح أن نقول إنه لم يكن يُسمح لها بتمثيله، كما لم يكن يُسمح لها عامّة باختيار شريك حياتها. والملاحَظ أن يكون من استخدم هذا الرمز هم الروائيّون، لا الروائيات، فالمرأة لا ترى نفسها رمزاً، بل كائناً طبيعياً من لحم ودم، يطالِب بحقوقه الإنسانية على الأرض.

(روائي من سورية)



تلويحة

## جان لوك نانسي التفكير بوصفه إصغاءً إلى الراهن

# الفلسفة في صورة جسَد

قدّم المفكّر الفرنسي، الذي رحل عن عالمنا قبل أيام، صورةً عن مرونة الفلسفة وقدرتها العالية على التقاط عناصر الراهن ومتغيّرات التاريخ

**محمود الحاج**

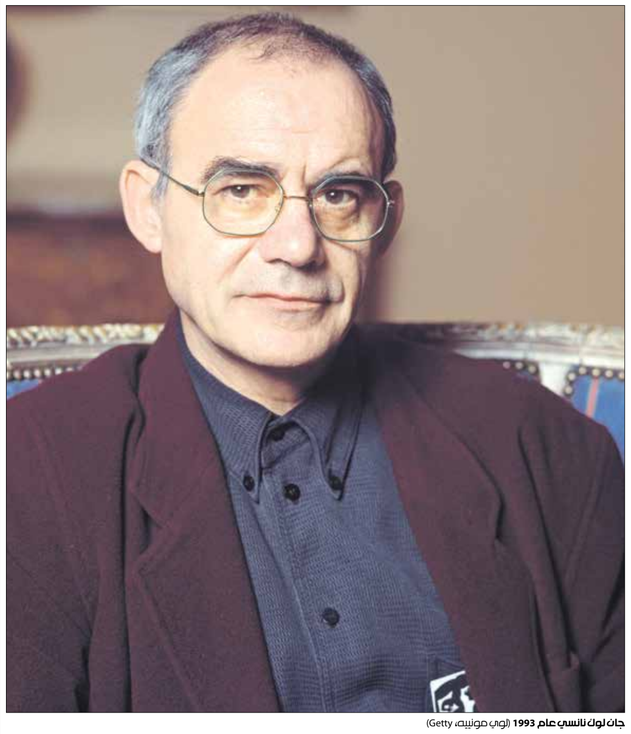

في عام 2003، بثّت محطّة «فرانس ألزاس 3» المحلّية شريطاً وثائقياً لم يعتده، بلا أدنى شكّ، متابعوها: «جان لوك نانسي: جسد الفيلسوف». ما الذي يدعو قناةً تنحصر برامجها بأخبار إقليم فرنسي، هو إقليم ألزاس، وبحالة الطقس فيه، إلى الالتفات إلى فيلسوف يقول كلاماً سيبدو معقّداً لدى أغلب متابعيها؟ لعلّ السبب الأوّل هو أنَّ المفكّر الفرنسي - الذي رحل عن عالمنا يوم الاثنين الماضي، الثالث والعشرين من آب/ أغسطس الجاري - قد قضى أغلب حياته في هذا الإقليم، مقيماً فيه ومدرّساً في جامعة عاصمته (جامعة ستراسبورغ) لأكثر من ثلاثة عقود، وهو الذي وُلد عام 1940 في الطرف الآخر، الغربي، من فرنسا، في مدينة كوديران المحاذية لبوردو. أمّا السبب الثاني، فهو، على الأغلب، الخصوصية التي كانت - وظلّت حتى رحيله - تطبع حياة نانسي، الذي أجرى عملية زرع قلب عام 1992، وكتب عملاً سيَرياً فلسفياً في هذه التجربة، تجربة العيش بقلب شخصٍ آخر، نشره في العام نفسه بعنوان «جسَد».
في هذا الفيلم الذي وقّعه المخرج مارك غرون، يرى المتابع مشاهدَ قلّماً يرى فيها فيلسوفاً فرنسياً مُعاصراً: يراه يسبح، شبه عارٍ، ويقطع حطب أشجار للتدفئة، وينقل العشب المجزوز والتراب من منطقةٍ في حديقة بيته إلى منطقة أُخرى، أي أنّه يراه يفعل كلّ شيء سوى الشيء الذي يفترض الحِسُّ المشترَك أنَّ المفكّر يفعله: يتأمّل - كما هو الحال في تمثال «المفكّر» لـ أوغست رودان - ورأسه مسنودٌ إلى قبضة يده المطويّة، أو يجلس إلى طاولته وأمامه كتب وكرّاسات. لم تكن الفلسفة، بالنسبة إلى جان لوك نانسي، يوماً محصورةً في هذا المربّع الضيّق الذي يرسمه المخيال الجماعي لفعل التفكير. منذ شبابه، ارتبط العمل النظريّ لديه بالتجربة المعيشة، أي بالخبرة التي لا يعرفها إلّا الجسد. هكذا، لم يصبح المفكّر الراحل واحداً من أبرز المفكّرين المعاصرين الذين كتبوا عن سياسة الاجتماع والعيش المشترك إلّا سنواتٍ بعد خوضه، مطلع شبابه، تجربةَ العيش ضمن مجموعاتٍ صغرى تحمل توجّهاتٍ سياسية وفكرية واجتماعية مختلفة عن المجموعة الكبرى التي تُطلَق عليها تسمية «مجتمع». أمّا تجربة العيش مع الآخر، فربما لم يعشها مفكّرٌ كما عاشها نانسي، الذي ظلّ يتنفّس حتى اللحظة الأخيرة بفضل قلب شخصٍ آخر - وهي تجربة عاد وكتب عنها عامَ 2010 كتاباً أسماه «الدخيل».
فهْمُ نانسي هذا للشراكة والتقاسم لا يتمظهر في مضمون أعماله النظرية فحسب، بل يطبع سيرته ويشكّل خيطاً ناظماً لها، وهو الذي شكّل مع فيلسوف آخر، هو فيليب لاكو- لابارت (1940 - 2007)، ثنائياً متفرّداً على الساحة الفلسفية الفرنسية، حيث وقّعا أعمالاً مشتركة، وعاشا لمدّة حياةً عائلية مشتركة، كذلك شكّلا ما يمكن النظر إليه باعتباره المدرسة الفكرية الوحيدة التي لم تكن العاصمة الفرنسية مسرحاً لها، بل مدينة ستراسبورغ، وجامعتها. في هذه المدينة المحاذية لألمانيا، طوّر نانسي معرفته بلغة غوته وبفكرها وآدابها، فكتب عن هيغل («الملاحظة التأمّلية»، 1973؛ و«هيغل: قلقُ السلبيّ»، 1997) وتناول، برفقةَ لاكو - لابارت، الرومانسية الألمانية («المطلَق الأدبي: الرومانسية الألمانية ونظريّتها الأدبية»، 1978). ومرّةً أخرى، لم يكتف نانسي بتمكّنه إلى حدّ بعيد من «تخصُّص» ما؛ فما إن يجد نفسه قد توسّع إلى حدٍّ كافٍ في مسألة (الاجتماع) أو تجربة ما (هيغل والرومانسيون الألمان) حتى يغادر إلى مسألة أُخرى، مُحترماً في هذا ما يسمّيه شرطَ الجسد، أي رغباته المتتالية والمختلفة وتنوُّع مصادرها. هكذا، سنجد الفيلسوف في صورة شديدة المرونة، بعيدة عن المدوّنات السيستمية؛ صورة تسعى إلى التقاط عناصر الراهن ومتغيّرات التاريخ، وهو ما يمكن الوقوف عليه بمجرّد النظر إلى آخر أعمال نانسي الذي أصدر، قبل أسابيع من رحيله، كتابين شديدي الراهنية: الأوّل عن فيروس كورونا («فيروسٌ مفرط بإنسانيّته»)، والثاني عن أساليب إيمانويل ماكرون في حكم فرنسا («أقنعة ماكرون»، 2021).

**شكّل مع لاكو- لابارت المدرسة الفكرية الوحيدة خارج باريس**

جان لوك نانسي عام 1993 (لوي مونييه، Getty)

## فعاليات

تعقد «جامعة حمد بن خليفة» بالدوحة، عند الثانية من بعد ظهر الأربعاء المقبل، ندوة بعنوان **قوانين وسياسات تغيّر المناخ في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا**، يشارك فيها كلّ من الباحثين: **رياض فخري**، و**إليزابيث ماروما مريما** (الصورة)، و**كاميرون كيلي**، و**هيلاري بيك**، ويديرها **داميلولا إس. أولاوي**.



حتى الثامن والعشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر المقبل، يتواصل في «متحف تيت» بلندن معرض **كيم ليم: نحت وطباعة**، والذي افتتح في أيار/ مايو الماضي. يستعيد المعرض تجربة الفنانة السنغافورية (1936-1997)، التي تناولت فلسفات جنوب شرق آسيا ضمن وسائط فنّية معاصرة، كالرسم والحفر على المعادن والأعمال التركيبية التي تبحث في مفاهيم الشكل والفضاء والإيقاع والضوء.



تنظّم «مؤسّسة أستروجو» المتخصّصة في أبحاث الفلك وفيزياء الفضاء في عمّان، عند الثالثة والنصف من عصر الجمعة المقبل، رحلة إلى **قصر الحرّانة** في البادية الأردنية. يتضمّن البرنامج استعراضاً لتاريخ القصر الذي بُني في عهد الوليد بن عبد الملك، وإضاءة على طرازه المعماري، ومشاهدة للنجوم.



على خشبة «المسرح المكشوف» في «دار الأوبرا المصرية» بالقاهرة، تقيم **فرقة بهججة** عند الثامنة من مساء الخميس المقبل، حفلاً بقيادة الموسيقي **أيمن حلمي**. الفرقة التي تأسّست في 2015 تسعى إلى إحياء المونولوغ الكوميدي الذي ازدهر في الثلاثينيات، ومنه «طنط دوسة»، و«عين الحسود»، و«عشرين جنيه لله».